كيف فكرت فى المبادرة؟

لقد خضنا حرب أكتوبر وكتب الله لنا النصر فيها.. وأثبتنا – بهذا الانتصار- ذاتنا واستعدنا ثقتنا فى قدراتنا.. فلماذا إذن لا نترك الشعارات جانبا ونفكر جيدا فى حل قضية الصراع العربى الإسرائيلى بأسلوب عصرى يقبله العالم المتحضر ويشجعنا عليه..؟

كيف فكرت فى المبادرة؟

ماذا كنت أنتظر من الرئيس الرومانى شوشيسكو؟

لم أفكر فى شاوشيسكو كوسيط لنا يتفاوض باسمنا أنا أعلم أن شاوشيسكو صديق شخصى لبيجين وأن هناك أكثر من ثلاثين نائبا فى الكنيست من أصل رومانى وهذا هو سبب العلاقة الوثيقة بين يهود رومانيا والكنيست من ناحية والعلاقة الكبيرة بين شاوشيسكو وإسرائيل من ناحية أخرى.

بيجين بولندى لكن أحد أجداده ينتمى إلى أصل رومانى.. وهذا ما جعل لرومانيا وضعا خاصا فى إسرائيل.

ماذا كنت انتظر من شاوشيسكو؟

أننى أثق فيه كصديق.. وأريد أن أتأكد منه قبل التفكير فى أى شيء: هل بيجين حقا يريد السلام؟ هذه واحدة. الشيء الثانى: هل بيجين يمثل قوة كافية للسلام؟

أننى دائما حتى أنجح أضع من سأتعامل معه فى الميزان.. وأجرى الحسابات بدقة لئلا أقع فى غلطة ويضيع الوقت.. كنت أريد أن أعرف: هل بيجين أولا يريد السلام حقا وثانيا هل هو القوة الكافية لمواجهة إسرائيل بمقتضيات السلام من الانسحاب من سيناء والأراضى المحتلة الأخرى؟ صحيح أن سيناء هى أرضنا ولكن الواقع أن إسرائيل تحتلها.

لقد خضنا حرب أكتوبر وكتب الله لنا النصر فيها وأثبتنا بهذا الانتصار ذاتنا واستعدنا ثقتنا فى قدراتنا فلماذا إذن لا نترك الشعارات جانبا ونفكر جيدا فى حل قضية الصراع العربى الإسرائيلى بأسلوب عصرى يقبله العالم المتحضر ويشجعنا عليه؟.

أننى أذكر جيدا اليوم الذى أعلنت فيه الحكومة المؤقتة للجزائر فى القاهرة.. وقتها ضحك العالم من حولنا: فى ذلك الوقت كان هناك نصف مليون جندى فرنسى فى الجزائر

على الحدود مع تونس ومع المغرب .. وعنف.. وقتل .. وبشاعة.. الجزائر مقاطعة فرنسية لها ممثلوها فى البرلمان الفرنسى.. فماذا حدث بعد ذلك؟

هذه الحكومة المؤقتة نفسها هى التى ذهبت إلى سويسرا وجلست على مائدة المفاوضات مع فرنسا.. وأخذت استقلالها.. أخذت الجزائر وهذا ما طلبته من الفلسطينيين.

لماذا أذن نضيع الوقت؟

فى ذلك الوقت أيضا اكتشفت شيئا هاما: أن أمريكا ليست ضدنا كما كنا نتوهم. نحن كنا مهملين.. والدليل أننى عندما تكلمت إلى الشعب الأمريكى استقبلنى أحسن استقبال وقالوا لي هناك: أنت رجل معقول هذا كله قبل المبادرة فتحت قناة السويس قالوا أنك رجل معقول وتحملوا نفقات تطهيره قناة السويس بالكامل ولم يطلبوا منى مليما واحدا.. الرئيس الأمريكى أعلن أن الفلسطينيين لهم حق فى وطن قومى.

لماذا إذن نضيع الوقت؟ أن العيب فينا نحن: لقد استولى علينا اعتقاد- واستمر حتى الآن للأسف مع بعض هؤلاء الرافضين- بأن أمريكا مع إسرائيل ظالمة أو مظلومة .. وأنه من الخير لنا أن نريح أنفسنا ولا نحاول التعامل معها. وهذا خطأ ثبت من تعاملى مع كيسنجر ونيكسون ثم فورد ثم كارتر.

لابد أذن أن نأخذ قضيتنا فى أيدينا.

ورتبت رحلة من القاهرة إلى رومانيا لأقابل شاوشيسكو ثم إلى إيران لأقابل الشاة ثم من إيران إلى السعودية ثم أعود من السعودية للقاهرة.

أنا أثق فى أن شاوشيسكو إنسان وهو صديق شخصى لى وفى الوقت نفسه صديق شخصى لبيجين وأنه سيقول لى الصورة كاملة. وكنت أريد أن أتأكد منه: هل بيجين حقا يريد السلام.. وهل بيجين يمثل قوة كافية للصمود أمام متطلبات السلام؟.

أما شاه إيران فلأننى كنت أريد أن .. إسرائيل: وهذا التأثير تأثير قوى بترولى وغيره وبكل وضوح الشاة قبل المعركة وفيها وبعدها وقف معنا وفى تحد لإسرائيل، وإسرائيل كانت تحسب حسابه لأن اقتصاد إيران كان فى يدها وكان دخل إيران ٢٥٠ مليون دولار كل صباح.

أما السعودية فلأننى لابد- سياسيا- أن أزورها بعد زيارتى لإيران.

كانت الطائرة تمر فوق جبال أرارات وأنا فى طريقى من رومانيا إلى إيران أننى أحب الطبيعة المجردة التى خلقها الله سبحانه وتعالى.. وكان النظر رائعا.. هذه الجبال قيل أن عندها رست سفينة نوح.. كنت أكاد أشم رائحة التاريخ والطائرة تمر فوق الجبال الضخمة.. وساعتها كانت تتشكل فى رأسى أبعاد المبادرة.

ربما لا يعرف الكثيرون أن القرار السياسي قد يولد أثناء التأمل فى الطبيعة أو مشاهدة فيلم سينمائى. أو ممارسة أى نشاط خارج عن نطاق العمل اليومى.. أننى أشاهد فيلما كل يوم.. بعد مشاق العمل المضنى.. لست أملك ترويحا عن نفسى إلا هذا: لا أستطيع أن أخرج وأمارس حياتى ككل إنسان .. الرسميات ومتطلبات المنصب ككل إنسان.. الرسميات ومتطلبات المنصب تمنعنى من أشياء كثيرة.

ونعود إلى جبال ارارات .. وأنا فى الطائرة التى تقطع المسافة من رومانيا إلى إيران.. والمبادرة تتشكل فى رأسى وكان شكلها الأول أن أدعو الخمسة الكبار فى العالم الذين يملكون حق الفيتو فى مجلس الأمن إلى القدس: أن إسرائيل دائما تقول أنها تبحث عن الأمن وتريد السلام أنا أيضا أريد السلام فهل هناك قوة أكبر من الخمسة الكبار لضمان سلام الطرفين وأمن الطرفين؟

ولماذا القدس؟ لأن اليهود مهما اختلفت جنسياتهم فهم شرقيون فى طباعهم وعواطفهم مثلنا تماما: نحن أولاد إسماعيل وهم أولاد يعقوب "إسرائيل" وجدنا كلنا هو إبراهيم أنهم مثلنا تماما فى الأصل وفى الانفعالات وبيجين شرقى ١٠٠% فى انفعاله وعواطفه واندفاعه.. أنك تكتشف هذا عندما تعرفه وتولد علاقة بينك وبينه.

وفى ذلك الوقت كان رصيدى فى العالم يرتفع: كانوا يقولون: هذا الرجل يريد السلام أنه فتح قناة السويس فهل رجل معقول وهو رجل متحضر يستطيع أن يناقشنا بلغة العصر وهو قد طرد الخبراء السوفيت عام ١٩٧٢ كان ذلك يحدث فى العالم من حولنا ونحن لا نلتفت إليه.. لأنه حدث تعتيم على هذا فى أمريكا بسبب أن الوفاق بين أمريكا وروسيا كان قد بدأ وصدر أول بيان عن الوفاق فى موسكو بين نيكسون وبريجنيف والذى وردت فيه عبارة الاسترخاء العسكرى والتى كانت سببا فى طرد الخبراء السوفيت لأن معنى الاسترخاء العسكرى أن يحدث على حسابنا: أن استرخى وهم أمامى على بعد عشرين خطوة يحتلون أرضى.

المبادرة ما زالت تتشكل فى رأسى وأنا فى الطائرة أشاهد جبال ارارات .. شكلها الأول أن أدعو الخمسة الكبار إلى القدس ليضمنوا أمن الطرفين والسلام.. والذى لا يعرفه الكثيرون أننى أحب بريجنيف. وفى اللحظة التى سأجتمع فيها مع بريجنيف فى أى وقت سنستطيع أن نصفى كل شيء بعكس بودجورنى الذى ذهب غير مأسوف عليه. بريجنيف رجل سياسية وبينه وبين بودجرونى وكوسجين فرق كبير. فكرت فى أن أدعو بريجنيف لأننى قدرت أننا يمكن أن نصفى كل شيء فى لحظة إذا كانوا مستعدين لفهم حقيقة الوضع الذى ثرت عليه.. إنهم – مثل العرب- لا يريدون أن يعترفوا بالخطأ.

لكننى قدرت أن بريجنيف سيكون مقيدا بوضع سوريا والفلسطينيين وجزئيا العراق. إن الاتحاد السوفيتى عندما طردنا الخبراء من مصر حاول تكوين محور دمشق- بغداد عوضا عن القاهرة ولكنه فشل. وكنت أراقب هذه المحاور فى هدوء لأننى أعرف النتيجة مقدما: حتى لو نجح الاتحاد السوفيتى فى تشكل هذا المحور.. فإن هذا المحور كان سينفجر من داخله عن نفسه.

الطائرة تقتر من طهران.. والفكر ما زال يحلق فى المبادرة.

إننى غادرت رومانيا بعد أن وقفت على الحقيقة من شاوشيسكو: إن بيجين رجل قوى ويريد السلام.

وأنا فى طريقى لمقابلة شاه إيران. لن أفكر فيه. لن أقول له شيئا عن وأنا فى طريقى لمقابلة شاة إيران. لن أقول له عما أفكر فيه. لن أقول له شيئا عن المبادرة. هذه طبيعتى: لا أقول شيئا قبل أن ينضج داخلى. حتى إذا وصلت إلى القرار. لا أقوله إلا لأقل عدد ممكن من المعاونين الذين يحفظون السر.

وعندنا فى مصر لا يوجد إلا القليل ممن يستطيعون أن يحفظوا السر. إن الكثيرين يريدون الظهور بمظهر العالمين ببواطن الأمور وهم وحدهم الذين يعرفون. وأبرز مثال على هذا قانون العيب. إنهم ظلوا شهرين يكتبون فى "قانون العيب".

والحقيقة أن "قانون العيب" أو حتى مشروعه لم يكن قد أعد.. كتبوا شهرين تعليقا على مسودة كانت فى الحزب لم ترها اللجنة ولا المكتب السياسي ولم تكن مشروعا ولم تناقش فى أية جهة أو لجنة. إن أى مشروع قانون لابد أن يقدم إما من الحكومة فيناقشه مجلس الوزراء

ويرسله إلى مجلس الشعب. وإما أن يتقدم به أحد النواب إلى لجنة المقترحات والشكاوى التى تحيله إلى المجلس فيحيله المجلس بدوره إلى اللجنة المختصة لمناقشته.

لم تكن خطوة من هذه الخطوات قد حدثت عندما بدءوا يناقشون هذه المسودة التى أعطاها واحد من الذين يريدون الظهور بمظهر العالميين ببواطن الأمور إلى مراسل صحيفة يومية حتى يثبت أنه "علامة" ونشرتها الصحيفة. وقال لهم النائب حسنى مبارك أن الحزب لم يناقش هذا الموضوع بعد. وبعد شهر ونصف من هذا اجتمع المكتب السياسي فى القناطر ليضع الأسس التى يوضع عليها مشروع القانون. وبعد أسبوع تمت صياغة المشروع وناقشه المكتب السياسي للحزب.

لم أكن أنوى أن أحكى لشاه إيران شيئا عن المبادرة التى أفكر فيها. كنت أريد أن أعرف من "محمد".. وأقصد الشاة.. لأننى كنت دائما أناديه بمحمد وهو ينادينى بمحمد.. كنت أطلب منه يرحمه الله أن ينادينى بهذا الاسم.. كنت أريد أن أقف منه على موقف أمريكا. لقد وضح لنا فى ذلك الوقت أن موقف سوريا والفلسطينيين ميئوس منه.. لأن الاتحاد السوفييتى يقف وراءهم علنا. وعندما قلت قبل ذلك إن ٩٩% من أوراق اللعبة فى يد أمريكا اعتبرها الاتحاد السوفيتى إهانة له. وقد ثبت بعد كامب ديفيد أن ١٠٠% من أوراق اللعبة فعلا مع أمريكا وحدها: والدليل أنه عندما احتلت إسرائيل جنوب لبنان فى ٤٨ ساعة.. أخذت ثلث لبنان.. بعد ٢٤ ساعة وضعت أمريكا قرارا بتشكيل قوة طوارئ دولية تذهب إلى لبنان فى نفس اليوم ووافقت عليه الدول كلها.. لو أن هذا حدث فى عام ١٩٦٧؟ لو أن كارتر كان رئيسا للولايات المتحدة.. ما كان حدث الذى جرى.

كان كارتر وقتها قد أثبت نفسه.. كان رجلا مخلصا.

قلت لمحمد رضا بهلوى: منذ ست سنوات.. وبالتحديد فى ١١ أكتوبر ١٩٧١ وعند زيارتى لك وأنا فى طريقى لمقابلة الزعماء السوفيت.. اشتكيت لك من تصرفات المعسكرين معى. وظلت تحدثنى عن أمريكا.

وسألنى محمد: فيم تفكر يا محمد؟

ولقت له: أننى أفكر فى خطوة جريئة.. وإذا وقفت أمريكا معى فيها.. فإن المشكلة كلها ستنتهى.. ربما تأخذ وقتا.. ولكنها ستنتهى ونضع أقدامنا على أول الطريق السليم.

ربما تأخذ وقتا.. ولكنها ستنتهى ونضع أقدامنا على أول الطريق السليم.

ولم يسألنى الشاة عما أفكر فيه بالضبط. منتهى الفهم والذوق والرقى.

نفس موقف فيصل رحمه الله عندما مررت عليه وأنا فى طريقى لمقابلة حافظ الأسد للاتفاق على حرب ٦ أكتوبر وكنا فى آخر أغسطس ١٩٧٣.. وقلت له: يا فيصل أننا سأبدأ.. ولم يسألنى: متى؟

إن شاة إيران لم يعلم بشيء عن المبادرة إلا عندما نشرتها الصحف. ولم أتحدث معه إلا عن كيفية التعامل مع كارتر والكونجرس.

والسنت والشعب الأمريكى كله.

وأؤكد هنا للأخوة العرب أننى كنت مثلهم تماما وربما أكثر.. اعتقد أن موقف أمريكا ميئوس منه وأنها تقف مع إسرائيل ظالمة ومظلومة. كنت معتقدا هذا عندما توليت وعندما قامت حرب أكتوبر بل أكد هذا روجرز عندما حضر وجلس معى ثم عاد ليطرد من الوزارة لأن جولدا مائير عنفته ولقنته درسا فى الكنيست. وطرد بعدها من وزارة الخارجية الأمريكية.

هذا أكد عندى ما اعتقده من أن أمريكا حالة ميئوس منها بالنسبة للعرب. ولكن ثبت أن هذا كله كان وهما. إنك لو فهمت الشعب الأمريكى وفهمك هذا الشعب ويريد السلام.

حالة ميئوس منها بالنسبة للعرب ثبت أن هذا كله كان وهما. إنك الشعب الأمريكى وفهمك هذا تستطيع أن تحل مشاكلك كلها لأن عادلون.. بشرط أن تكون أنت نفسك. لا تناور.. ولا تقول كلام تفعل شيئا مخالفا.

كنت أريد أن أعرف هذا كله. من محمد رضا بهلوى.

وفى يوم مغادرتى طهران.. جاء زايد فى زيارة رسمية وطلب مقابلتى.

أنور السادات

www.anwarsadat.org